بخاري حمانة* فلسفة الثورة الجزائرية[1]

د. أحمد عطار **

الملخص:

التفكير في الثورة الجزائرية والبحث عن الفلسفة التي أسستها ذلك هو مطلب المفكر الجزائري "بخاري حمانة" في كتابه: "فلسفة الثورة الجزائرية" الصادر عند دار النشر ابن النديم وروافد،يعالج جوانبا لم تُبحث من قبل، كقضية العلاقة بين التنظير والواقع، ومسألة إعادة قراءة التاريخ النفسي وتاريخ الوعي بشكل موضوعي، وخاصة "بنظرة نقدية"لإعادة بعث روح الثورة،ثم ربطها بالأجيال اللاحقة فيستفيدون بها ويستلمون منها، ونربط بين الماضي والحاضر لأجل مشروع حضاري مستقبلي.

الكلمات المفتاحية: بخاري حمانة، فلسفة الثورة الجزائرية، ما بعد الكولونيالية، التاريخ.

Abstract :

The study of the Algerian revolution and the research for the philosophy it founded is the study subject of the Algerian thinker BukhariHoumna in his book, The Philosophy of the Algerian Revolution, published by Ibn al-Nadim and Rawafid. It deals with aspects that have not been discussed before, such as the relationship between theory and practice,Psychological history and the history of awareness objectively, especially "critical view" to re-energize the spirit of the revolution, and then connect with the subsequent generations to take advantage of and receive from them, and link the past and present for a future civilization project.

key words:Philosophy of the Algerian Revolution, Post-Colonialism, History

" كَانَ عَلَى الْجَزَائِرِيِّ الْاِنْتِصَارَ عَلَى نَفْسُهِ قَبْلَ اِنْتِصَارِهِ عَلَى الْعَدُوِّ "
بخاري حمانة، فلسفة الثورة، ص 280.

مقدمة

*من هو بخاري حمانة؟: أستاذ التعليم العالي بجامعة وهران من مواليد (1937) بقمار، وادي سوف (الجزائر) ناقش دكتوراه الدولة بجامعة وهران (قسم الفلسفة) حول "فلسفة الثورة الجزائرية."من مؤلفاته:
- القرآن و الثورة . طهران ، إيران .1984
-الإدراك الحسي عند الغزالي .ديوان المطبوعات الجامعية OPU الجزائر 1986.
-التعلّم عند الغزالي . المؤسسة الوطنية للنشر و التوزيع ENAL الجزائر 1986.
-ابن خلدون حياته و أثره . وزارة الثقافة الجزائرية 1984.
-فلسفة الثورة الجزائرية . دار الغرب وهران. 2005.
-اراء حول الدنيا والدين..تحت الطبع.
Ecrits sur La Palestine,Dar el – Gharb, Oran, 2006.
Ecrits philosophiques,Dar el Gharb,2008.
(http://philo-ethique.alafdal.net/t150-topic)

1 بخاري حمانة ، فلسفة الثورة الجزائرية ، بن النديم للنشر والتوزيع الراوافد ناشرون، طبعة ثانية الاولى، بيروت لبنان، 2012.

** استاذ محاضر أ، مدير مخبر الفينويمينولوجيا وتطبيقاتها، جامعة تلمسان، الجزائر. cafephilo13@gmail.com

إن أهم فكرة يطرحها "بخاري" هي: " أن للتاريخ معنى وقصد يفهم....لا يمكن أن يتحقق دون قصدا {...} أو عقل، (فلأحداث التاريخية)لا بد أن تكون من ورائها فكرة كما يؤكد "**كولينجود**"* ولأن الفكرة، ثورية كانت أو غير ثورية، وليدة العقل والضمير....ويقول "**ديلتاي**"**: إن التاريخ يمثل أعلى صورة للعقل."[2]، ومنه نفهم المنطلق الأساس "لبخاري"ونظرته للتاريخ على أن له معنى معقول، ولا يمكن تصور أحداثه بالعبث ولا على أنها حشد من الصدف التي لا معنى وقصد لها.

ليس بالجديد النظر إلى التاريخ كونه موضوعا معقولا وله وجهة عقلانية،"**فهيجل**" مثلا جعل منه الحقل الأكبر لتجسد "خطة العقل الكلي"، والطريق الذي يتمظهر فيه، لكن يفهم هذه الحركة بمعزل عن الإرادة الإنسانية، وهو نفس التوجه الذي اتبعه من بعده "**كارل ماركس**" سوى أنهما يربطان بشكل وثيق بين الواقع والفكر، يقول "**لينين**": "لا ثورة من دون نظرية ثورية"، فالارتباط بين الفكر والواقع يتسم بالجدل، حيث الفكر يتجاوز الواقع بالاستناد إليه ويمارس معه الاستمرارية والقطيعة ""من هنا ذلك التشاؤم والتفاؤل، القطيعة والاستمرارية، المحافظة والتجديد، الهدم والبناء في كل ثورة..."[3].

لا يريد "بخاري" قراءة الثورة الجزائرية من خلال منطلقاتها المادية المحض، بل يرى فيها تلك الفكرة أو الأفكار القابعة وراء الأحداث، أي أن هناك قصدية إنسانية خلفها، ومن مهمة الباحث إظهار تلك "**الفكرة الكامنة**" وراء الثورة ، الفكرة التي قل من أوضحها وكانت مغيبة.

كشف ملامح "**الفكرة الجوهرية**" القابعة خلف الثورة هو الهدف الذي يجعله بخاري هدفا لدراسته، ملامح لم تجد من يجليها فأغلب الدراسات التاريخية اتجهت نحو الايديولوجيا والوقائع الجزئية، وكانت تحت ضغط العاطفة ونشوة الانتصار (الكتابات الجزائرية) أو مرارة الهزيمة (الكتابات الفرنسية)، أما الدراسات الجزائرية فعلى الرغم من كثرتها فإنها لا تنحو منحا فلسفيا، بل تغرق في مادية الحدث ولا تحفر في خلفياته المعرفية، إلا بكثير من العاطفة التي رغم صدقها فهي تخالف البحث العلمي، فالتناول الحماسي لم يخدم الثورة وغيب التناول الموضوعي النقدي (إظهار الايجابي والسلبي)، لأجل ذلك يلزم إعمال: "**النظرة النقدية للثورة**" كون الثورة بحد ذاتها نظرة نقدية للواقع الاستعماري، ألم تكن "رفضا كليا وقطيعة شاملة" لما سبقها؟، لا ينزع "بخاري" للثورة خاصيتها الإنسانية ولا يلبسها القداسة والألوهية فهي مثل كل الأحداث البشرية لها عيوبها وايجابياتها، وأبطالها بشر رغم خصائصهم الجريئة وصدقهم إلا أن أعمالهم لا تخلو من الأخطاء والمشاعر البشرية كالأحقاد والطموح فهم غير معصومين، وعلى من يدرسهم متذكر ذلك.

الفكرة الكامنة:

يتطلب البحث عن **الفكرة الكامنة** وراء الأحداث التاريخية الكبرى كثورة نوفمبر العودة للنصوص المؤسسة لها كبيان أول نفمبر، ونص مؤتمر الصومام* وغيرهما، دون نسيان نصوص مفكرين

*كولينجود (1889-1943)(Robin George Collingwood) فيلسوف ومؤرخ بيريطاني استاذ الميتافيزيقا بجامعة اوكسفورد معروف بكتابيه :"مفهوم التاريخ"، و"بيريطانيا الرومانية".

** دلتاي: (1883-1911)(Wilhelm Dilthey) مؤرخ وعالم نفس وسوسيولوجي وفيلسوف الماني اهتم بفلسفة التاريخ التي اعتبرها فلسفة للفهم.

2 بخاري حمانة ، فلسفة الثورة الجزائرية ، مصدر سابق، ص15.

3 نفس المرجع، ص17.

*http://www.cnerh-nov54.dz/wpcnerh/%D9%85%D8%A4%D8%AA%D9%85%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%B5%D9%88%D9%85%D8%A7%D9%85-20%D8%A3%D9%88%D8%AA/(20.OO H DATE /21/3/18)

أمثال:**الأمير عبد القادر** الجزائري و**الأمير خالد ومصالي الحاج وفرانز فانون** وغيرهم، منه نفهم أن وراء الحدث فكرة كامنة تقبع كدرة في الغور العميق يهبط إليها الباحث لكشفها وإخراجها .

لأجل الكشف عن: "الفكرة الكامنة"يقوم "بخاري" باختيارات منهجية ومقاربات علمية أين تلتقي فلسفة التاريخ والفلسفة السياسية في جوف الحدث، علما أن الحدث لا يرى إلا في كليته لا فقط ممن عاشوه، بل حتى ممن لحقهم ويحتاج فهمها إلى : ""المنهج التفهمي"، ويقصد به النظرة الكلية والفكرة العليا التي تلم تفاصيل التاريخ ويجمع :""الحدس والفهم" على حد قول "بخاري"، ولا يكتفي بالمنهج السابق بل يستعين كذلك بمنهج "**شبنجلر**" "المنهج التوسمي".

ينطلق "بخاري" من فرضية وجود فلسفة للثورة الجزائرية ويسعى الإثبات ذلك، في حين أراد الغير دحضها، ولأجل البرهنة كان لا بد من «تعريف الحدود» كما يقول المناطقة، فعرف الفلسفة تعريفا واسعا يحمل معنى النظر للكون والحياة بما فيها النظرة النقدية للعالم (الواقع)، أو لنقل الوعي النقدي للواقع، الذي يتقدم عن الحدث التاريخي ويمهد له، فهي إذا علاقة جدلية بين الفكر والواقع، فبقدر ما يفرز الواقع المزري للجماهير وعيا بالرفض وطلب التحرر، فإن هذا الأخير يغير الوضع اللاإنساني (من الواقع إلى الوعي ومن الوعي للواقع بشكل جدلي)، وانتقال من الوعي الفردي إلى الجماعي أين تتشكل ايديولوجيا الجماعة المضادة لايديولوجيا المحتل، وتناقض تصوراته وخطاباته وممارساته.

يفهم بخاري فلسفة الثورة فهما إجرائيا "براجماتيا" فليست هي أحلام فلاسفة وثوار لم يغيروا واقعهم، ولا قضية فردية. بل هي علاقة فعالة مع الواقع، كما هي ليست فلسفة تأملية منفصلة عن واقعها، بذلك يتسع مفهوم الفلسفة كما أراده "بخاري"، وبعد تعريف الفلسفة يعرج إلى **مفهوم الثورة**، فيعود إلى معانيها المتعددة التي تشترك في القصد اللغوي لكلمة الثورة: إنها العودة إلى:**"**الماقبل**"** أو الوضع الاول،**"فأغسطين"** في:"مدينة الرب" يراها نكوصا عن الشرك وعودة إلى الإيمان الأول وفي الإسلام هي عودة إلى الدين الإبراهيمي الأول ﴿الفطرة﴾، كما تحمل الثورة معنى القطيعة الجذرية مع ما سبق، ولا تكون الثورة والقطيعة إلا جماعيا، بذلك يختلف مفهوم الثورة عن الانقلاب والعصيان والانتفاضة والتمرد والحرب والجهاد والإصلاح. ورغم أهمية هذه الحالات كالإصلاح مثلا، فإنه لا يحمل معنى "الرفض الكلي"* لما هو قائم بطريقة شاملة.

في الفصل الثاني لكتاب "بخاري":"فلسفة الثورة"يحلل بعمق مفهوم ثورة نوفمبر فهو فصلا يعنونه ب: "الجذور الفكرية لثورة نوفمبر"،ويعرج على استقبال حدث الثورة في الأوساط الخارجية والداخلية، فعلى صعيد تلقي الاستعمار للحدث،بكل شرائحه السياسية كموقف المثقفين والكنيسة اتسم بطابعه المعارض على العموم، ولو أن هناك شرارات خافته ومتناثرة لمواقف موضوعية متذبذبة بين المعجبة والمؤيدة للثورة. أما بالنسبة ليهود الجزائر الذي خصهم قانون:"كريميو"*ببعض الامتيازات فلم تكن مواقفهم ايجابية على العموم من الثورة اللهم بعض الافراد والشخصيات التي أيدتها معنويا وماديا، إلا أن العام كان سلبيا اصطف مع المعمرين (أو المخربين كما يسميهم جمال الدين الأفغاني)، ولم يعترفوا بجريمة الاستعمار.

استقبال الشعب الجزائري الثورة مبحث قد يراه البعض دون قيمة، لكن "بخاري" لا يؤمن ببداهة المعطى، فهو الفيلسوف الذي يطرح السؤال عن البديهي ليخرج منه العميق، فيرى فيها موطنا خصب

* نستحضر "مفهوم النفي الكلي" عند الفيلسوف الألماني "هاربرتماركيوز" الذي يقدمه في كتاب : "الإنسان ذو البعد الواحد" انظر ص 100، وللتوسع أكثر يُنظر أحمد عطار، مذكرة ماجستير: هاربرتماركيوز، تحت إشراف: أد مولفي محمد، جامعة وهران، الجزائر، 2005.

*قانون كريميو: أصدرت حكومة الدفاع الوطني في 24 أكتوبر 1870 المجتمعة بمدينة تور الفرنسية قرار هذا نصه : " إن حكومة الدفاع الوطني، تقرر بأن جميع الإسرائيليين الأهالي في عمالات الجزائر قد أصبحوا مواطنين فرنسيين،... "جاء القرار مختوما بعبارة حرر بمدينة تور وحمل امضاء أعضاء حكومة الدفاع الوطني ، وهم ؛ تيار ،

كريميوغامبيطابيزوانفوريشونhttps://ar.wikisource.org/wiki/%D9%82%D8%A

للتفكير وإعادة السؤال، ليرصد مسقط الثورة في الأنا الجزائري بعد أن يحصي الشرائح السياسية من "المصاليين" ومحاولاتهم الأخيرة لفرض الأبوة وعدم التصديق أن الأبناء خرجوا من عباءة الأب "مصالي"، أما موقف "جمعية العلماء المسلمين" و"الحزب الشيوعي" فيرى فيه "بخاري" موقف الغير مصدق، ويشفع له جلل الحدث الذي كان يبدو من "المستحيلات"، فلا بد من عدم الإنقاص من قدر الأشخاص، ولا تخوينهم، لأن مقتضيات العصر كانت تظهر "داود" أمام "جالوت".

قراءة في ثورة نوفمبر وفلسفتها:

انتقد الكثير من الكتاب الاجانب ثورة نوفمبر من حيث أنها كانت "**شعبوية**" لا تستند إلى أي تنظير أو فلسفة ولا تمهيد فكري، فيرد عليهم "بخاري" ويصفهم بقاصري النظر وعدم فهم فلسفة الثورة، بل يعتبر أن كتابه: "فلسفة الثورة" هو الرد على هذه أصواتهم. والسبب الأساس لتأليفه كان الأجل توضيح اللبس وتفنيد النافيين لوجود فكرة قابعة خلف الحدث النوفمبري، علما أن قضية التنظير للثورة أو علاقة الفكر القبلي بانبثاق الثورة مسألة شائكة هي غير مؤكدة وتحظى بنقاش كبير في العلوم الاجتماعية فلا حسم فيها، كما أن ثنائية المثقف والجماهير هي بدورها غامضة ومتدخلة الجمهور ملهم المثقفين والطليعة الثورية الملتزمة التي توعي القاعدة، هذه الفكرة كانت مركز تفكير للفيلسوف الايطالي "انطونيو غرامشي".*

الملاحظ في شباب ثورة نوفمبر (مجموعة الاثنان والعشرين) أنهم من عامة الشعب، ولم يكونوا من "البرجوازية الصغيرة أو الوسطى"، معظمهم لم يحصل على شهادات فوق الابتدائي، يجمعهم الانتماء إلى الحزب وفكرة الاستقلال وأن الحرية لا تأخذ إلا بالقوة، وفي سبيل ذلك جندوا كل شيء ؛ البشر والمواد المادية والأفكار والمشاريع بكل مشاربها الدينية والقومية والاشتراكية وأسْتُعمل كل أنواع العنف اللازم حتى التصفيات الجسدية والتطهير الداخلي، كل ذلك من أجل هدف واحد: تحقيق الاستقلال الوطني، كونه مطلبا ملحا ومستعجلا، وربما لم يسعهم الوقت للتنظير له كثيرا ولا للتنظيم لأجله طويلا.

إن حركات التحرر التي كانت تسود العالم شكلت بالنسبة إليهم ضغطا نفسيا يعيق التريث والتفكير المتأني، فانطلقت الثورة على أمل أن تنظم نفسها بنفسها بمرور الوقت، فالعجلة كانت طابعها الابتدائي، ورغم نقص تدبيرها الفكري والتنظيرات المتروية قبل انطلاقها، فإن هدفها (الاستقلال) غطى عيوب بدايتها وبرر تسرعها، في الأخير أنجز الهدف وتحقق تطابق الفكر والواقع من أناس بسطاء، لكن حققوا ما عجز عن التفكير فيه أكبر المنظرين في محاولاتهم لتغيير واقعهم.

تأثرت ثورة نوفمبر بما سبقها من ثورات حقيقة لا يمكن نفيها على حد تعبير "بخاري" لاستلهامها من الثورة البلشفية 1917 والثورة التونسية والمغربية 1952 والفيتنامية وحركة الضباط الأحرار بمصر 1952 وغيرها من الثورات والتيارات الإصلاحية في العالم "كمحمد عبدو" و"جمال الدين الأفغاني" ورواد النهضة العربية الإسلامية ....الخ، عوامل خارجية إضافة إلى عوامل داخلية أبرزها حالة الانسداد الوجودي الذي عايشه الجزائري عامة والحركة الوطنية خاصة، حالة من انغلاق الأفق وصفها بيان أول نوفمبر: "بالرفض المستمر للمستعمر بإعطاء أدنى الحقوق والمطالب المشروعة" وتعنته في إذلال الإنسان رغم الطابع الإنساني والسلمي للمطالب، وأمام الإنكار والإجحاف حدث انسداد ومأزق وجودي عاق الشعب الجزائري تطلب منه لزوما التصادم، فسلك طريق العنف[4] لإسماع صوت المظلوم أمام تكبر الظالم* حتى وإن كلف ذلك التضحية بالنفس والنفيس.

*حول غرامشي انظر : أحمد عطار، موسوعة الأبحاث الفلسفية، للرابطة العربية الأكاديمية للفلسفة، الفلسفة الغربية المعاصرة صناعة العقل العربية مركزية الحداثة إلى تشفير المزدوج الجزء الأول إشراف علي عبود المحمداوي، تأليف مجموعة من الاكاديميين العرب، منشورات الاختلاف وضفاف، 2012 بيروت، ص 100.

4 "فرانز فانون"، "اقنان الارض"، في تقديم "جون بول سارتر" للكتاب يعتبر العنف ضرورة لذاتها الامر الذي لا يتوافق مع طرح "فانون" الذي يعتبر العنف هو طريق لخروج المُستَعْمَرُ من حالة: "الْإغْتِرَابَ" (l'aliénation) فنزع الْإغْتِرَابَ (désaliénation)يتم عن طريق تحويل العنف من على ذاته، وضد بني جلدته، ليجعله عنفا ضد المستعمر ليبلغ الحرية التي توصله إلى انسانيته، ينظر.

لم يعد هناك مكان للحكمة أو التروي أمام غلق الاستعمار الباب الأخير للتحاور في وجه الإنسان الجزائري، تضحيات الشعب من أجل تحرير فرنسا من النازية قوبلت بالتنكر،لم يعد للعقل من مكان**، فلم تُجّدي حكمة "مصالي" صبرا وتريثا أكثر، وجاء الدور على طيش الأبناء وغضب الشباب الذين لم يجاروا صبرة شيخوخته.

إن صراع الوجود والهوية واثبات الذات التي عايشها الإنسان الجزائري كان حاسما أمام فكر مأزوم وواقع عدمي، تتقاذف فيه الإرادات بين **ذاتين**: ذات جزائرية مستعبدة مقهورة تبحث عن الاعتراف بحق الحياة والحرية، وذات أخرى غربية سيدة تشرعن سيطرتها على الأولى بسم التحضر لتبرر استغلالها للأولى لا ترى الإنسانية إلا في ذاتها فتستحل استغلالها للهامش، وأمام المركزية والتعنت وجدت الذات الجزائرية نفسه داخل جدلية:"العبد والسيد" على حد تعبير الفيلسوف "فريديريك هيجل"، عبدا مستلب يغير الواقع ولا ينتفع بخيراته ولا حتى بإنسانيته التي سلبت منها الكرامة والحرية، وسيدا يحتكر كل شيء ؛ لنصبح أمام صراع للوجود وإلا الموت والعدم، يضاف إلى جدل الذات هذا، جدلا بين الذات والواقع، وهو "يدور أساسا بين الإنسان وأوضاع حياته"[5]، صراع للبقاء.

لا تسلم فلسفة الثورة من التجاذبات الإيديولوجية ؛ فالتيار الإسلامي يعتبر فلسفة نوفمبر إسلامية شعارها: الله أكبر"، ومنفذيها المجاهدين وبسم الله والجهاد، وغايتها إعلاء كلمة الله على أرض الإسلام المسلوبة، لذلك يرى "مالك بن نبي " في كتابه: "بين الرشاد والتيه"« أن البلد بعد الاستقلال انحرف عن منطلقاته وابتعد عن الإسلام نحو تيار تغريبي لا علاقة له بمعتقدات الشعب الجزائري»[6]. أما المقاربة العلمانية "فترى في الثورة نتيجة حتمية لسلسلة من مراحل الحركة الوطنية"[7] تراكما منذ "الأمير عبد القادر" و"الأمير خالد"مرورا "بابن باديس" و"مصالي الحاج"، غايتها بناء الدولة الوطنية الحديثة.أما المقاربة الماركسية فتفسرها ببساطة على أنها ثورة بروليتارية ضد البرجوازية الغربية.

تسعى كل مقاربة من المقاربات السابقة لفهم فلسفة الثورة فهما خاص بها، لكنها تشترك في امتلاكها جزءا من الحقيقة، كما تشترك في وضع فلسفة نوفمبر في سياق تاريخي يفسر جانبا من هويتها، خاصة من ناحية السبب والمسبب المقدمة والنتيجة، ورغم تباين هذه المقاربات يقول "بخاري": أن فلسفة الثورة جمعت كل التيارات والصبغات، يحذوها أمل محو الوضع الظالم، مثل أي ثورة عادلة كانت في تفاعلية جدلية داخليا وخارجيا، ومنه يطرح "بخاري" سؤال حول ثورة نوفمبر وسابقاتها فيستفسر: "هل يعني ذلك أن فلسفة نوفمبر لم تكن في النهاية سوى تكرار ردئ للفلسفات والإيديولوجيات الوطنية العالمية التي سبقتها وعاصرتها؟"[8]، يجيب "بخاري" أنها بالفعل ثورة "شعبوية"* اختلطت فيها النزعات: الإسلامية والاشتراكية والماركسية والقومية....الخ، وتأثرت بالثورات العالمية لكن لها خصوصية وتفرد فرضهما المكان والزمان، فكيف ذلك؟.

---

https://www.scienceshumaines.com/frantz-fanon-contre-le-colonialisme_fr_28199.html

* يستحضرنا هنا ادبيات الثورة الايرانية 1979 ووسمها الامبريالية ممثلة بأمريكا بالشيطان الاعظم وقوى التكبر والتجبر العالمي

** لعل هذا من أساب قلة التفكر والتنظير للثوة لأن التنظير يعمله "العقل" أما الحالة اللانسانية التي أوجدها الاستعمار وعان منها الجزائري لم تبق تدبرا ولا تعقل. كانت الثورة ردة فعل وجودية عاطفية حياتية لعبث الاستعمار وللا معقوليته ولعقله الماكر المدمر للحياة والاخر والمختلف عنه، فلا يمكن عقلنة غضب الثورة وأحسن بيان عن الغضب كانت اشعار "مفدي زكرياء" شاعرها والقاسم بالدم.

5 بخاري حمانة ، فلسفة الثورة الجزائرية ، مصدر سابق، ص182.

6"مالك بن نبي "، "بين الرشاد والتيه"، مشكلات الحضارة، دار الفكر المعاصر لبنان، دار الفكر دمشق، ط 1، 2002، ص 26،27.

7 جمال ع الناصر، فلسفة الثورة، بيت العرب للتوثيق، القاهرة، د ط، 1996، ص 14,15.

8 بخاري حمانة ، فلسفة الثورة الجزائرية ، مصدر سابق، ص193.

* مصطلح الشعبوية : (populisme) للكلمة معاني عديدة وغامضة كون استعمالها متعدد جدا وغالبا سلبي، فيعتبرها البعض نوع من الايديولوجيا التي تتلاعب بعواطف الجماهير، ويعرفها البعض الاخر كحركات شعبية ينقصها تأطير النخب المثقفة أو حتى أنها ضد النخب، لغياب واضح للفردانية المختلفة أو المبدعة مع الانصياع التام لرغبة الجماهير، ولكن اذا حاولنا الصعود الى الجذور التاريخية لاستعمال الكلمة فنجدها ترتبط بحركة زراعية روسية كانت تهدف لتحريرهم سنة 1870م، ويقصد بها: "تطلع وطموح الجماهير إلى فكرة جماعية أو هدف سياسي مستقبلي يتعلقون بها فتحركهم "، ولعل هذا ما يقصده "البخاري حمانة". لمصطلح الشعبوية ينظر:

Jan-werner Muller, Qu'est-ce-que le populisme, trad: frediricjoly, folio,2016.

في تشريح فلسفة الثورة

يفصل بخاري" في مبادئ الثورة وأسسها، فيجعل **أولا**: من التفاؤل وفلسفة الأمل أول أساساتها ؛ إنها بصيص أمل ونور وسط العتمة العامة، لقد نفخت روح الأمل في النفوس البائسة.أما الأساس **الثاني**: هو الوضوح، إن مطلب التحرر والانعتاق من الاستعمار، كان بديهية شديدة الوضوح جسدها بيان أول نوفمبر عندما سطر لنفسه غاية سامية هي: الوعد بالحرية والكرامة والمساواة والعدالة الاجتماعية. **ثالثا** العمل: إن فلسفة الثورة جاءت عملية لا تحمل أحلاما طوبوية أو مجرد شعارات لذلك كانت أفكارها مجسدة، وعنفها مشروعا كرد طبيعي على عنف واستكبار المستعمر. **رابعا** الشمولية: على عكس التجارب السابقة أين كانت الثورات في الجزائر تحدث في مناطق بمعزل عن أخرى كانت ثورة نوفمبر شاملة للقطر ولم تنحصر في فئة معينة، كما لم يكن لها قائد وزعيم تنتهي بموته أو اعتقاله، فميزتها الشعبوية وحرب العصابات، أين المجهود الحربي يتقاسمه أفراد الشعب، وكأنها تستفيد من كل التجارب السابقة من مقاومات وانتفاضات في الجزائر، وتلعب كل الأوراق من الدبلوماسية إلى العسكرية فكانت بالفعل شاملة.

يخلص "بخاري" من فكرة الشمولية إلى أن ما يحرك التاريخ ليس اللا عقل ولا الرغبة في الاعتراف كما قال "أفلاطون" (ألتيموس)، بل "إنها ظاهرة أقرب إلى السوبيرانوس (*superanus*) أي قمة الإحساس بقوة الحرية والسيادة الكاملتين، ذلك الإحساس الذي تروي الأساطير اليونانية أنه يتولد لدى كل من يتذوق ثمار "اللوتوس" التي تنبت في السواحل الشمالية لإفريقيا..."[9]، فحب الحرية إحساس جماهيري قديم منذ أن تسمى الأمازيغ (الرجال الاحرار)، تقابل هذه الروح روحا "ميغالوتيمية" تفوقية عند الغرب، ومبدأ الحرية الذي طلبه الجزائري لم يكن لنفسه فقط، بل سينشدها للإنسانية ولكل القضايا العادلة في شمال افريقيا والعالم ليرتقي بمبدأ الشمولية من المحلية إلى الشمولية.

في الأخير يستكمل "بخاري" المفاهيم المؤسسة للثورة بمفهوم "التكامل" الذي يقصد به التوازن الذي أحدثته الثورة في انطلاقها ومسيرتها وعدم التطرف أو الانحراف، يمكن القول عن جرأة الثورة أنها قفزة نحو المستحيل، تماما كاستحالة هزيمة "جالوت" أمام "داود"، ورغم ذلك كانت متزنة (التناقض الممكن)، والاتزان والتكامل هو استغلال القوة والطاقة القليلة وتنظيمها وتوجيهها الحسن نحو هدف وحيد ؛ يتحقق بموارد ضعيفة، وهنا نفهم أن استحالتها لا تعني انفصالها عن المنطق المادي والقوانين الموضوعية،الامر الذي يستبعد الكتابات التي لم تعرج على مفهوم التكامل في الثورة. وكان التناول العاطفي يكدس فوقها الأحكام الذاتية والتهويلية والتعظيمية، ولم يقاربها مقاربة موضوعية **تاريخانية***، فأساء لها حين أراد خدمتها، لذلك يرى "بخاري" أن من مهمته إعادة كتابة التاريخ الثوري، ففشل الكتابات السردية العاطفية لبلوغ النضج العلمي ومرتبة التاريخ العلمي الاستراتيجي[10]، حجبت بريق الثورة وعمقها الإنساني،* وجعلت الأجيال تتعامل معها بسطحية وحتى لا مبالاة*.

ينضاف إلى المبادئ السابقة المُشْكلة لفلسفة الثورة مفهوم: "الجذرية"، لأن الثورة يئست من تحسن الوضع، ولم تؤمن بجدوى التغيير التدريجي للتاريخ، إما بالإصلاح الاجتماعي كما اعتقدت جمعية العلماء

---

9 بخاري حمانة ، فلسفة الثورة الجزائرية ، مصدر سابق، ص230.

*التاريخانية: (L'historicisme) هي مذهب فلسفي ومفهوم مرتبط بفلسفة التاريخ، مصطلح وضعه كارل فرنر سنة 1879 ليصف فلسفة التاريخ " لفيكو"، يرى أن المعارف والتيارات الفكرية وقيم مجتمع ما، مرتبطة بسياقات حقبة زمانية معينة، وليس لهذه القيم والافكار جواهر مستقلة عن وضعها التاريخي، كما يمكن اعتبارها معقولة وقابلة للفهم الإنساني ينظر: بوريكو، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ت: سليم حداد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 2007، ص 131.

10 بخاري حمانة ، فلسفة الثورة الجزائرية ، مصدر سابق، ص238.

* تتنوع صرخة الثورة بين المحلية والعروبة والإسلام والشمال إفريقي ثم الافريقي والعالمي، تنوع بين الخصوصية والخطاب الإنساني، ونستذكر هنا تجاذبات "فرانز فانون" بين حركة السود (« négritude ») كما طرحها مواطنه أيمي سيزار" ((Aimé Césaire (1913-2008) والمفكر السينغالي ((1906-2001 Léopold Sédar Senghor) والشرط الإنساني العالمي.

* فراز فانزن: مفهوم كراهية الذات:

المسلمين، أو النضال السياسي عند "المصاليين" أو حتى الإدماج كما أعتقد آخرون، لذلك كانت الثورة تغييرا مفاجئ وعنيف وحتى سريع للواقع، إن خاصيتها الكبرى هي: "القطيعة التي أحدثتها مع النظام الاستعماري".[11]، أما خصائص فلسفة الثورة فيجملها "بخاري" فيما يلي:

01/ أصالة نظرتها إلى الواقع الوطني (بساطة إيديولوجيتها المتمحورة حول الاستقلال)،
02/جماعية ووحدة القيادة.
03/ توحيد الشعب من خلال الكفاح المسلح (طابعها الجماهيري لدرجة وصفها بالشعبوية).
04/النزعة الإنسانية والاخلاقية.
05/ الالتزام اللامشروط بكل قضايا الحرية في العالم.

في ضرورة النظرة النقدية للثورة

يعتقد "بخاري" أن النظرة النقدية للثورة لا تنقص من قدرها، بل تنزلها من ألوهيتها المثالية وتعيدها إلى جماهيرها الأولى أو كما قيل: "أرموا الثورة إلى الشارع يحتضنها الشعب" إنه تخليص الثورة من المتاحف والصالونات والتوظيفات السياسوية ومن الانتهازيين الذين يقتاتون منها، وإرجاعها إلى حاضنتها وبيئتها الأولى المميزة لها، وعندما ننظر إليها بعفوية وأصالة نتفهم ونغفر زلاتها، على سبيل المثال: حالات التصفية الجسدية أثناء حرب التحرير أو كما سميت بأكل الثورة لأبنائها المخلصين وارتكاب أخطاء[12]هي حالة موجودة في كل الثورات العالمية، كما لا يستغرب وجود التناقضات والتنازعات الشخصية، أو حتى بعض التنازلات للعدو، فإن المعضلة الأساس ليست هنا، بل في حالة "ما بعد الثورة"*التحدي الذي يجعلها بين الميراث والتراث، وبين روحها وتركتها المادية، فهناك محاولات لجمع ماضيها المادي لأرشفته كالأدوات والمخطوطات فتجمد في المتاحف والنصب التذكارية والمناسبات ذات الطابع السياسي، وتنحصر انجازاتها فيما بين جدران المتاحف ودفات الكتب ومخازن الأرشيف، ولا تصل إلى درجة التراث، فتنعزل قيم الثورة عن الحاضر وتصبح غريبة عن الأجيال التي لم تعشها،والتي لا تجد فيها عبرة ولا عاطفة بل ترمقها كأداة وفريسة لاسترزاق الانتهازيين ويحتكرها المثقف البوق، ويغلق كل محاولة لإعادة إنتاجها رمزيا أو إعطائها روحا جديدة وفهما جديدا ثم يسجنها عن أبنائها من الجيل الجديد ومن الشارع التي ولدت فيه، ويمنع تطورها أو تحيينها مع الحاضر ولا ان تواكب المستقبل فلا هي قادرة على النقل العاطفي للماضي ولا أنارت الحاضر،وحل أزماته ولما لا تلعب دور المرجعية والإلهام المناط بها فتتجمد وتتكلس.

مما سبق نفهم الانتقادات التي وجهها "بخاري" لفلسفة الثورة، التي تنطلق أولا من ظاهرة تراجع روح المد الثوري بعد نجاحها العسكري وانتهاء مهمتها، ليلحقها فشل في "ما بعد الثورة"[13] كالثورة الزراعة والبناء والاقتصاد، فذكر بيان نوفمبر للوحدة المغاربية لم يخطو خطوة واحدة إليه أما تأسيس دولة القانون والمؤسسات التي لا تزول بزوال الرجال تراوح مكانها، ولم تمحي سياسات التهميش والإقصاء الاستعمارية، ويعمق "بخاري" الانتقادات كذلك فيما يلي: 01/ الاحتكار الإيديولوجي للثورة وللفكرة الوطنية واحتكار الشرعية، ومنه رفض لأي نوع من المعارضة ليتم تهميش المثقفين وإخماد أصواتهم

---

11 بخاري حمانة ، فلسفة الثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص238.

12 مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع ، ترجمة: حنفي بن عيسى ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ، ص 31.

*حالة كراهية الذات (la haine de soi) كما يسميها "فرانز فانون" هو لون من ألوان: "الْإِغْتِرَابَ" الذي هو عصاب عام، حيث يمارس الْمُسْتَعْمِرُ عَنْفًا نَفْسيا على المُسْتَعْمَرُ فيصفه:{ بالأحمق الغريزي الكسول..}، مما يسبب حالة من الشعور بالدونية، وينتهي به المطاف إلى احتقار لغته وثقافته وشعبه، ولا يعود له من هم إلا تقليد الْمُسْتَعْمِرُ قدر المستطاع أو كما يقول "ابن خلدون": "حذو النعل بالنعل"، بل أكثر من ذلك فالطبقة المثقفة المُسْتَعْمَرُة تتحاشى الاقتراب من بني جنسها من الفئات الأقل قدرة على التثقف، ويزدروهم ربما أكثر من الْمُسْتَعْمِر، وهذا النموذج للخوف المرضي للسود (أو الأهالي) من بعضهم هو حالة " إِغْتِرَابَ" تكرس منطق التفوق الاثني.

Frantz Fanon, Les Damnés de la Terre,1961, rééd. La Découverte, 2002.

13في تحليل فشل الثورات ينظر: مالك بن نبي "، "بين الرشاد والتيه"، مرجع سبق ذكره، ص 14 وما بعدها.

النقدية والتشكيك حتى في وطنيتهم مما سبب تراجع الصوت المختلف وحرمان الساحة الوطنية من التجديد والطاقات المبدعة، 02/ فساد الجهاز البيروقراطي الذي عرقل التنمية مع الإفراط في المركزية والنظر نظرة الريبة والشك للجميع وكأن الكل متهم وعميل حتى يثبت العكس، فذهنية "**الأمننة**"*والعمل السري والغموض، بل حتى حالة الحرب وتسبيق العسكري على السياسي والمؤامرات لم تختفي، والغريب أنها نفس ذهنية وممارسات المستعمر التي لم نقدر على تجاوزها*.

يقول "بخاري": تلك الحدود التي حول البعض منهم فيها جيش الثورة الاحتياطي، لا إلى أداة ضغط ومساومة على غيرهم من تلك القيادة فحسب، بل إلى مطية لموقعة موقع المجموعة التابعة له في الجزائر"[14]، يضيف "بخاري" إلى هذه الانتقادات عدم القدرة فلسفة الثورة على حسم إشكالية مشروع المجتمع فسقط الجميع في تنازعات المشاريع الغربية والشرقية والإسلاموية والاشتراكية والرأسمالية زاده انفجار صائفة 1962 حين اختلط الفردي بالجماعي والعرقي بالجهوي...الخ، وما زاد من الفشل السياسات الخاطئة والمتراكمة وخاصة الارتهان للريع البترولي سنة 1973 (حرب أكتوبر ضد الصهيونية) على زمن الرئيس "هواري بومدين"* ونهاية الثورة الزراعية مع نهاية المد الثوري ومعها العمل والأمل الذي كان متقدا منذ الخمسينات، والفشل الأعظم لفلسفة الثورة كانت على مستوى اللغة والهوية مما أفقد الجزائري للثقة في كل شيء وزعزع وجوده وثوابته الوطنية مما أوصل الجزائر إلى أحداث أكتوبر 1988 وصدمة 1992.

أصبحت فلسفة الثورة مفرغة (غير حاملة لأي أمل ولأي عمل) وحينها تحول المجتمع المفتوح إلى مجتمع مغلق، أسير دعاية مفلسة تفتعل قضايا بائسة وتدفع الناس اليها دفعا توهما بالوحدة:"ومن هنا فإن تحرير روح نوفمبر التي حررت بالأمس شعبا بأكمله من أبشع استعمار عرفته الإنسانية في عهودها الحديثة...يتحقق من خلال النقد الموضوعي للرجال وللظروف...ذلك النقد القادر وحده على إعادة بلورة ذلك الوعي العظيم....كما أن إنقاذ روح نوفمبر لا يتحقق كذلك بالحسرة والبكاء على ذلك المصير الذي الت اليه اليوم، بل العمل على إعادة كتشاف ذلك المنطق الحي الاصيل والفاعل{...} فقناعتنا أن ثورة نوفمبر ستظل، ولفترة غير يسيرة من الزمن، الممر الاجباري لكل إعادة بناء أو اصلاح أو تجديد للجزائر"[15]

خاتمة:

يعتبر كتاب: بخاري حمانة": **فلسفة الثورة الجزائرية"** من الدراسات القلية التي تناولت ثورة نوفمبر من منظور فلسفي نقدي، كون الحدث جلل في التاريخ الجزائري الحديث، ورغم أن إعادة التفكير فيها سبقه إليها "أبو القاسم سعد الله" حين حاول ضبط المفهوم من قبل، إلا أن "بخاري" تعمق في الفكرة الكامنة خلف كل الحركة التاريخية المسماة الثورة، وحلل لحظاتها الثلاث: "القبل" و"الحدث" و"الما بعد"، ورصد مراحل صعودها وانحدارها، خاصة سيطرة ذهنيات بائدة كانت سائدة في الحركات الوطنية قبلها، من صراعات على الفتات وبقاء العقلية والممارسات الاستعمارية مجسدة حتى بعد طرد المستعمر، مما سبب اغترابا بالمفهوم الفانوني (فرانز فانون) لم يسمح بتحرر الإنسان من جلاده الكامن بداخله.

---

*الأمننة: (La sécurisation) مفهوم مركزي في المجتمعات المعاصرة انتقدته مدرسة فرانكفورت (النظرية النقدية) لما فيه من تعدي على حقوق الإنسان، والمبالغة في تسبيق الأمني على كل شيء، واعتبرتها عودة للمجتمعات الفاشية أو ما سمته الفيلسوفة "حنا ارنت": "بالتوتاليتارية"، أين تتدخل الدولة في كل جوانب الحياة الخاصة بدعوى الأمن القومي، ونلاحظ تزايد الظاهرة مع تزايد المخاوف من ما يسمى: "الإرهاب".

*تحت سؤال: كيف نُثْفي المُسْتَعْمَرُ من اغترابه؟ ويصبح حرا ثم إنسانا؟، يرى "فانون"« أن العبد لن يصبح إنسانا إلا عندما يتخلص من "الْإِغْتِرَابَ" ثم يسترجع إنسانيته، والحل للتخلص من الْإِغْتِرَابَ هو التحرر الذي لا يقصد به تحرر البلد بل كذلك تحرر الأنفس ؛ عبر ميلاد إنسان جديد».

Frantz Fanon, Les Damnés de la Terre,1961, rééd. La Découverte, 2002.

14 بخاري حمانة ، فلسفة الثورة الجزائرية ، مصدر سابق، ص267.

* هواري بومدين أو بوخروبة (1978-1932) وزير الدفاع سنة 1962والرئيس الثاني للجزائر المستقلة بعد انقلابه على أحمد بن بلة، عادل نويهض ، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت 1980، ص 100.

15 بخاري حمانة ، فلسفة الثورة الجزائرية ، مصدر سابق، ص ص277، 278.

إن مطلب إعادة التفكير والكتابة بنظرة نقدية أصبح أمرا ملحا لتجاوز قداسة الأسطورة والدخول إلى التاريخ يقول **"فلادمير لينين"**: { إن الغرور المبالغ فيه سبب إخفاق الأحزاب الثورية، فجعلها غير قادرة على معرفة مكامن قوتها، وأصبحت تخاف الكلام عن مواطن ضعفها}.